الباب الرابع

فيما يدل من كتب القوم على صحة ديننا ونبوة نبينا ـ ﷺ ـ

obeikandl.com

فيما يدل من كتب القوم على صحة ديننا ونبوة نبينا ـ ﷺ ـ

فيما يدل من كتب القوم على صحة ديننا ونبوة نبينا ـ ﷺ ـ، وأنهم بمخالفته كافرون، وبمعاندته من الله ـ تعالى ـ مُبعدون، معارضة لاستدلالهم بكتابنا على صحة دينهم، بعد بيان بطلان توهمهم صحة ما اعتمدوا عليه.

وقد نصت الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى المسيح ـ عليه السلام ـ على نبوة محمد ـ ﷺ ـ ورسالته؛ وأنه أفضل النبيين والمرسلين، ونصوا على اسمه ونعته وحليته، وأرضه وبلده وجميل سيرته، وصلاح أمته وسعادة ملته، وأنه من ولد إسماعيل ـ عليه السلام ـ، وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة، فمن لم يعتقد وقوع هذا كله لزم الطعن على هؤلاء الأنبياء كلهم ـ صلى الله عليهم أجمعين ـ، فلا جرم نحن المؤمنون حقاً بجميعهم الشاكرون لصنيعهم، وغيرناهم الكافرون بجملتهم، والمكذبون لأخبارهم، وأنا أذكر من البشائر الدالة على ذلك خمسين بشارة[1].

البشارة الأولى:

في السفر الأول من التوراة في الفصل العاشر: قال الله ـ تعالى ـ لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: **« في هذا العام يولد لك ولد اسمه إسحاق. فقال إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ياليت إسماعيل هذا يحيا بين يديك يمجدك، فقال الله ـ تعالى ـ: قد استجبت لك في إسماعيل وإني أباركه، وأنميه وأعظمه جداً جداً بما قد استجبت فيه، وأُصيِّره أمة كثيرة وأعطيه شعباً جليلاً سيلد اثني عشر عظيماً »**، واتفقت الأمم على أنه لم يظهر من قِبَل إسماعيل ـ عليه السلام ـ إلا نبينا ـ صلوات الله عليه ـ، فإن الأنبياء إنما كانوا يكونون من ذرية إسحاق ـ عليه السلام ـ.

ولما ظهرت بركته ونمت أمته، كان الشعب الجليل الذي أعطيه إسماعيل ـ عليه

---

(١) في النسخة المطبوعة وجدت ٥١ بشارة، وفي المخطوطة ٥٠ فقط.

السلام ــ، فملأت منه **المشارق** والمغارب ودوخت الجبابرة بالقواضب ، وعلى توالى الأيام لا يبلى جديدها ، **ولا يُقصم** عودها ، فتحققت البشارة الربانية لإسماعيل ــ عليه السلام ــ، وظهرت أمنية الخليل ــ عليه السلام ــ بالإحسان والإكرام .

البشارة الثانية :

قالت التوراة : « **لما حضرت إسرائيل**[1] **الوفاة بمصر عند يوسف ــ عليه السلام ــ دعا أولاده ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ بين يديه فباركهم واحداً واحداً ودعا لهم ، ولما انتهت النوبة إلى يهوذا قال فيه لا يُعدم سبط يهوذا ملك مُسَلّط وأفخاذه بنو إسرائيل ، حتى يأتى الذى له الكل** » ، ولم يأتِ من بعد الكل إلا محمد رسول الله ــ ﷺ ــ، فيكون هو المراد صوْناً لكلام يعقوب ــ عليه السلام ــ عن الخلل .

البشارة الثالثة :

قالت التوراة فى السِفر الخامس : « **قال موسى ــ عليه السلام ــ لبنى إسرائيل لا تطيعوا العرَّافين ولا المنجمين فسيقيم لكم الرب نبياً من إخوانكم مثلى ، فأطيعوا ذلك النبى** » ، وهذا الموعود به ليس هارون ــ عليه السلام ــ؛ لقول التوارة أنه مات قبل موسى ــ عليه السلام ــ، فما أقيم لهم ، بل كان القائم موسى ــ عليه السلام ــ، ولأن نبوته أُقيمت قبل هذا الخطاب ، ولا يوشع بن نون ــ عليه السلام ــ، لأنه أُقيم نبياً قبل هذا الخطاب ، **ولأنهما** ــ صلوات الله عليهما ــ من بنى إسرائيل وموسى ــ عليه السلام ــ قال : « **من إخوتهم** » ولم يقل : « **من أنفسهم** » ، فتعين أن يكون من ولد إسماعيل أخى إسحاق أبى إسرائيل ، فإنهما أخوان وأولاد أحدهما أخوة الآخرين ، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ــ ﷺ ــ فيكون هو الموعود به .

وأما عيسى ــ عليه السلام ــ فعند النصارى رب ، وعند اليهود كآحاد الناس وليس الموعود به إجماعاً .

---

(١) يعنى يعقوب ــ عليه السلام ــ.

البشارة الرابعة :

قالت اليهود فى هذا السفر : قال الله ـ تعالى ـ لموسى : « **إنى سأقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فيه ، ويقول لهم ما آمرهم به والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى ؛ أنا أنتقم منه ومن شبهه** » . ولم يخرج من إخوة بنى إسرائيل من أولاد إسماعيل غير سيد المرسلين ، ولم يأت برسالة مستأنفة غيره ، لا من بنى إسرائيل ولا من غيرهم ، والله ـ تعالى ـ يقول لهم : « **ما آمره به يجعله أمراً مستأنفاً** » ، ولأنه قال : « مثلك » ولم يخرج مثله فى الجلالة والرسالة العظيمة المبتكرة إلا سيد المرسلين ـ صلوات الله عليه ـ، فيكون هو الموعود به .

البشارة الخامسة :

قالت التوراة فى الفصل التاسع من السفر الأول : « **إن الملك ظهر لهاجر وقد فارقت سارة فقال : ياهاجر من أين أقبلت ؟ وإلى أين تريدين ؟ فلما شرحت له الحال قال : ارجعى فإنى سأكثر ذريتك ورزقك حتى لا يُحصون ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتسميه إسماعيل ، لأن الله ـ تعالى ـ قد سمع بكاءك وخضوعك ، وولدك تكون يده فوق الجميع ، وآمر الكل به ، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته** » ، ولم يأت من ذريتها من يده على جميع الخلق وآمر الكل إلا سيد المرسلين محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ.

البشارة السادسة :

فى التوراة فى السفر الأول قال الله ـ تعالى ـ لإبراهيم ـ عليه السلام ـ: « **إنى جاعل إبنك إسماعيل أباً لأمة عظيمة لأنه من ذرعك** » ، ولم يكن أمة عظيمة مضافة إلى إسماعيل دون إسحاق إلا أمة محمد ـ ﷺ ـ فيكون هو الموعود به .

البشارة السابعة : (١)

قالت التوراة فى السفر الخامس : « **أقبل الله من سينا ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، معه ربوات الأطهار عن يمينه** » .

فسينا هو الجبل الذى كلم الله ـ تعالى ـ فيه موسى ـ عليه السلام ـ، و « ساعير »

---

(١) للمزيد عنها انظر إغاثة اللهفان [٢/٣٦٣] .

هو جبل الخليل بالشام ، وكان المسيح ــ عليه السلام ــ يتعبّد فيه ويناجى ربه ، و « فاران » جبل بنى هاشم الذى كان محمد ــ ﷺ ــ يتحنث فيه ويتعبد .

فإقبال الله ــ تعالى ــ من سينا إقبال رسالته ، وتجليه من ساعير وظهور فضله بإرسال عيسى ــ عليه السلام ــ **بإحياء ما** فى التوراة ، وظهوره من جبال فاران ــ **وفاران** مكة باتفاق أهل الكتاب ، ولذلك عندهم أن إسماعيل وهاجر **كانا** ببرّية فاران وهما كانا بمكة ــ فظهوره ــ تعالى ــ منها ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية .

وخصص موسى ــ عليه السلام ــ نبينا ــ ﷺ ــ بما لم يذكره لغيره وهو ربوات الأطهار عن يمينه وهم أصحابه ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ وهذا نص ظاهر يقوى جميع ما تقدم ويزيده بياناً وتعين المراد به بحيث يصير كالشمس .

فهذه سبع بشائر فى التوراة .

البشارة الثامنة : (١)

فى إنجيل يوحنا قال يسوع المسيح ــ عليه السلام ــ فى الفصل الخامس عشر : « **إن الفارقليط روح الحق الذى يرسله إلى كل شىء هو يعلمكم كل شىء** » ، والفارقليط عند النصارى : الحمَّاد وقيل الحامد وجمهورهم أنه المُخَلِّص ، ونبينا ــ ﷺ ــ مُخَلِّص الناس من الكفر وهو المعلم لكل شىء ، ولذلك قال يهودى لبعض الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ: لقد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة ؟؟(٢)، فقال : أجل لقد نهانا أن يستقبل أحدنا القبلة ببول أو غائط . وسماه المسيح ــ عليه السلام ــ: « روح الحق » وهو غاية المدح .

---

(١) كانت هذه البشارة سبباً لإسلام القس تورميذا الكاثوليكى ، الذى هداه الله للإسلام ، وتسمى باسم عبد الله بن الترجمان ، وقد ذكر ذلك فى كتابه المسمى « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب » والذى كتبه سنة ٨٢٣ هـ ، وقد يسر الله لنا تحقيقه ونشره بمكتبة القرآن بالقاهرة .

(٢) ــ مسلم فى كتاب الطهارة رقم ٥٧ ، ٥٨ .
ــ أبو داود فى الطهارة [باب ٤] .
ــ الترمذى فى الطهارة [باب ١٢] .
ــ النسائى فى الطهارة [باب ٣٦ ، ٤١] .
ــ ابن ماجه فى الطهارة [باب ١٦] .
ــ المسند [٤٣٧/٥ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩] .

البشارة التاسعة :

فى الإنجيل قال المسيح ــ عليه السلام ــ: « **إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصايای وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم « فارقليط » آخر يثبتُ معكم إلى الأبد ، روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه** » ، والذى يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول لا ذاته ، ورسالة نبينا ــ عليه أفضل الصلاة والسلام ــ باقية على مر الأيام والدهور ، ومستمرة إلى يوم البعث والنشور ، فيكون هو الموعود به صوناً لقول المسيح ــ عليه السلام ــ من الخلل .

قال النصارى : « إن الفارقليط الموعود به ألسن نارية تنزل من السماء على التلاميذ فيفعلوا الآيات والعجائب » ، وهو غير صحيح ؛ إما لأنه لم يثبت نزول هذه الألسن ولا مجال لتصدق المسيح ــ عليه السلام ــ على أمر لم يثبت ، أو لأن سير التلاميذ تشهد بأنهم عذبوا وأُهينوا **بأنواع** الهوان ؛ فكذب قولهم : « إن ألسن النار تؤيدهم على أعدائهم » .

ثم قول المسيح ــ عليه السلام ــ: « **إنه روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه** » يشير إلى أنه ــ عليه السلام ــ بعث بالتوحيد فى زمن غلب فيه الجهل وعبادة الأوثان وبيوت النيران[1] والقول بالثالوث وهو غاية المنافاة والبُعد عما جاء به ، ولذلك قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب** ﴾[2] .

وأما التلاميذ فلم يتحدثوا إلا مع اليهود وكانوا يوحدون غير أنهم بَدَّلوا الشريعة وبعضهم عبد النجوم والأصنام ، لكن التوحيد كان معلوماً شائعاً على وجه الأرض ، بخلاف زمانه ــ عليه السلام ــ، فتعين أن يكون هو الموعود به .

ثم التلاميذ جماعة فى وقت واحد ، والمسيح ــ عليه السلام ــ يشير لواحد عظيم منفرد . فقولهم فى التلاميذ هذيان بل الخطاب مع التلاميذ أنفسهم .

البشارة العاشرة :

فى إنجيل يوحنا قال المسيح ــ عليه السلام ــ: « **من يحبنى يحفظ علىَّ كلمتى وأبى يحبه وإليه يأتى ، وعليه يتحد المنزل ، كَلَّمْتكم بهذه لأنى عندكم غير مقيم ،**

---

(١) يعنى هياكل عبدة النار (المجوس) .

(٢) ص : ٥ .

والفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم كما قلت لكم » . فحَمّل المسيح ـ عليه السلام ـ أصحابه هذه الأمانة ليؤدوها إلى من بعدهم كما هى سنة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

والذى جاء بعده يُعَلِّم كل شىء عنده هو نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما تقدم بيانه ـ، وسماه « روح القدس » ، كما سماه « روح الله » ، وهو غاية التعظيم والمدح له والتأكيد فى اتباعه ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

البشارة الحادية عشرة :

فى إنجيل يوحنا قال المسيح ـ عليه السلام ـ: « **إذا جاء الفارقليط الذى أبى يرسله روح الحق الذى من أبى يشهد لى ، قلت لكم هذا حتى إذا جاء تؤمنون به ولا تشكون فيه** » ووصفه له بأنه : « يشهد له ويصدقه » ، يكذب النصارى فى قولهم : « إن الفارقليط هو ألسن نارية » ، فإن تلك الألسن آية مقوية لا يصدر عنها قول ، ثم أن المسيح ـ عليه السلام ـ أشار إلى نصرته على اليهود فى تكذيبهم له ، وأنه به شيطان وأنه من زنا بأمه سيأتى بعدى من يشهد لى **فتظهر** براءتى وصدق ، **وكذب اليهود فيما رموه به وكذلك كان . صرح القرآن الكريم بأن أمه صديقة وأنها** حملت بالقدرة الربانية غير بشر وأنه جاء بالبينات لليهود . فقال : ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾[1] **وهذا تنصيص فى غاية الظهور على نبوة سيد المرسلين وعلو شأنه ـ ﷺ ـ.**

البشارة الثانية عشرة :

فى إنجيل يوحنا قال المسيح ـ عليه السلام ـ: « **إن خيراً لكم أن أنطلق لانى إن لم أذهب لم يأتِ الفارقليط ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا جاء هو يوبخ العالم على الخطية ، وأن لى كلاماً كبيراً أريد قوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن إذا جاء روح الحق ذلك يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده . بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للأب** » .

ففى هذه البشارة عدة مقاصد منها :

---

(١) النساء : ١٧١ .

(أ) أنه ــ عليه السلام ــ أخبر أن الآتى أفضل منه لقوله : « **إن خيراً لكم أن أنطلق ليأتى الفارقليط** » .

(ب) ومنها معنى قوله إذا انطلقت أرسلته إليكم إما لأن المصطفى ــ عليه السلام ــ موقوف على ذهاب المسيح ــ عليه السلام ــ: فالمسيح ــ عليه السلام ــ تحقق إرساله بذهابه أو على حذف مضاف أى يرسله أبى .

(جـ) ومنها أن الآتى يوبخ العالم على الخطيه وقد وَبَّخ ــ عليه السلام ــ اليهود **والنصارى** والمجوس والعرب فإنه وجد الجميع ضالين .

(د) ومنها أنه أخبر أن الآتى يرشد إلى جميع الحق ويقول ما لم يقله المسيح ـ عليه السلام ـ لانه جعل الحوالة عليه ، ولانه لم يأت بجميع الأعمال الربانية وكل الأخلاق **المرضية** وتحصيل جميع مصالح الدنيا والآخرة ــ على ما تقدم بيانه فى آخر أجوبة الرسالة وأول هذا الكتاب ــ إلا رسول الله ــ ﷺ ــ وهذا فى غاية التكذيب للنصارى فى قولهم أنه ألسن نارية .

(هـ) الشهادة لنبينا ــ عليه الصلاة والسلام ــ أنه لا ينطق عن الهوى وإنما يتكلم بما **يوحى إليه ولذلك قال الكتاب العزيز : ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ﴾**[1] ولم يأت من هذه صفاته ــ ولا يأتى ــ إلا نبينا ــ ﷺ ــ فيكون هو الموعود به جزماً .

البشارة الثالثة عشرة :

فى إنجيل يوحنا قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح ــ عليه السلام ــ: « **ياسيدى آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم ، فقال المسيح ــ عليه السلام ــ: ياهذه متى ؟ فإنه سيأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم يسجدون للأب** » . وهذا من المسيح ــ عليه السلام ــ إشارة إلى تغيير بيت المقدس بالكعبة الحرام فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة ، وصار السجود لله ــ تعالى ــ فيها لا فى أورشليم ولا فى غيره .

---

(١) النجم : ٣ ، ٤ .

البشارة الرابعة عشرة :

فى الإنجيل قال المسيح ـ عليه السلام ـ لمن حضره : « **الحق أقول لكم إنه سيأتى قوم من المشرق إلى المغرب فيكون معهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ويخرج بنو الملكوت إلى الظلمة البرانية خارجاً هناك يكون البكاء وصرير الأسنان** » ، فأشار المسيح ـ عليه السلام ـ إلى هذه الأمة ، فإن دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ كانت خاصة بأولاد يعقوب ـ عليه السلام ـ، وهم بنو إسرائيل أولاد الأنبياء ، ولذلك سماهم بنى الملكوت ودعوة نبينا ـ ﷺ ـ عامة لأهل الأرض فآمن به أهل المشرق والمغرب ، وكان منهم العلماء والنجباء والصالحون والأولياء فكانوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وكفر اليهود والنصارى ، وهم بنو يعقوب ـ عليه السلام ـ فكانوا فى ظلمات الجهالات ودركات العقوبات فلقد نصحهم المسيح ـ عليه السلام ـ غاية النصيحة وبالغ فى إرشادهم غاية المبالغة .

البشارة الخامسة عشرة :

فى إنجيل متى : سأل أحد التلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ فقالوا : يامعلم : لماذا تقول الكتب أن **إلياء** يأتى ؟؟، فقال ـ عليه السلام ـ: « **إن إلياء يأتى ويعلمكم كل شيء ، وأقول لكم إن إلياء قدَ جاءكم فلم تعرفوه بل فعلوا به الذى أرادوا** » .

وفسر النصارى إلياء بأنه النبى وفيه ثلاثة مقاصد :

أحدها : أنهم أخبروه أن الكتب تقتضى ورود نبى آخر غير عيسى ـ عليه السلام ـ فصدقهم على ذلك .

وثانيها : أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ صرح بتكذيب النصارى واليهود فى أنه ليس ابناً وسَمَّى نفسه ـ عليه السلام ـ إلياء وأنهم فعلوا معه ما **أرادوا** و لم يتبعوه .

ثالثها : أنه أخبر أنه سيأتى نبى يعلمهم كل شيء و لم يوجد ذلك إلا فى نبينا ـ عليه السلام ـ فيكون هو الموعود به .

ومنها تكذيب النصارى فى دعوى نزول ألسن نارية لتصريحه بأنه نبى .

البشارة السادسة عشرة :

فى إنجيل يوحنا أن أركون العالم سيأتى وليس لى شىء ، والأركون بلغتهم هو المعظم ، والأراكنة العظماء ، يريد ـــ عليه السلام ـــ أن ملك الفارقليط إذا أتى لم يبق على وجه الأرض لنبى من الأنبياء لا هو ولا غيره آثار دعوة ، بل قوم ضلال ينسون السنة .

البشارة السابعة عشرة :

فى الإنجيل قال يحيى بن زكريا ـــ عليهما السلام ـــ لأصحابه : « **إن الذى يأتى من بعدى هو أقوى منى وأنا لا أستحق أن أجلس مقعداً خلفه** » ، وهو نبينا ـــ ﷺ ـــ لا يحيى ـــ عليه السلام ـــ ابن خالة عيسى ـــ عليه السلام ـــ، وكان فى زمنه لا بعده ، فلم يبق غير نبينا ـــ عليه السلام ـــ.

البشارة الثامنة عشرة :

فى إنجيل متى قال المسيح ـــ عليه السلام ـــ: « **ألم تقرءوا أن الحجر الذى أرذله البناؤون صار رأس الزاوية ، من عند الله كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا ، ومن أجل ذلك أقول لكم : إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى لتأكل ثمرتها ، ومن سقط عليه هذا الحجر يتشدخ وكل من سقط عليه يمحقه** » ، فليت شعرى من هذه الأمة التى دفع لها ملكوت الله ـــ تعالى ـــ بعد نزعه من النصارى ؟ أتراهم اليهود ؟ فهم نحن قطعاً ومن ذلك الحجر الذى من عاداه **شدخه** ومن عانده قتله إلا محمد ـــ ﷺ ـــ وأمته ، وهو الذى أريد بالحجر الذى صار أفضل البشر بكونه رأس الزاوية المشار إليها ، ومن المحال أن يقال إنه عيسى ـــ عليه السلام ـــ، لأنه على زعم النصارى « رب » وعندهم وعند اليهود أنه لم يقدر على الانتصار ولا ظهرت له **صورة الاقتدار على أحد من الأشرار ، فهذه إحدى عشرة بشارة من الإنجيل وتقدم سبعاً** فى التوراة وهذه بقية التحريف والتبديل سلمت من أيدى الأعادى ، وإلا كان الأمر أشهر ، والحق أظهر كما قال الله ـــ تعالى ـــ: ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾[1] ، وبذلك أخبر من أسلم من أحبار اليهود والنصارى ، وإنما يد العدوان أزالت بشائر الإيمان .

---

(١) الأنعام ـــ ٢٠ .

البشارة التاسعة عشرة :

فى المزامير قال داود ـــ عليه السلام ـــ: « **ليفرح الخاليق بمن اصطفى الله ـــ تعالى ـــ واصطفى له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه** » ، يشير ـــ صلوات الله عليه ـــ إلى هذه الأمة ورفع أصواتهم بالأذان فإنه لم يكن لغيرها من الأمم ، والسيوف العربية ذوات شفرتين والعجمية لها شفرة واحدة ، وانتقم الله ـــ تعالى ـــ بهم من جملة الأمم لأن دعوته ـــ ﷺ ـــ عامة ، وغيرهم لم ينتقم الله ـــ تعالى ـــ بهم إلا من أمة واحدة كموسى ـــ عليه السلام ـــ لم يقاتل إلا جبابرة الشام .

البشارة العشرون:

قال دواد ـــ عليه السلام ـــ فى مزمور له : « **إن ربنا عظيم محمود وفى قرية إلٰهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً** » ، فنص ـــ عليه السلام ـــ على اسم محمد وبلده وسماها قرية الله ـــ تعالى ـــ وأخبر أن كلمته تعم أهل الأرض ، وكان ذلك .

البشارة الحادية والعشرون:

قال داود ـــ عليه السلام ـــ فى مزاميره : « **سيكون من يجوز من البحر إلى البحر ، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، تخر أهل الجزائر بين يديه ، وتجلس أعداؤه التراب ، وتسجد له ملوك الفرس ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، وتخلص المضطر البائس ممن هو أقوى منه ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويرأف بالمساكين والضعفاء ، ونصلى عليه ونبارك فى كل حين** » ، وهذه صفات محمد ـــ ﷺ ـــ ولم توجد لغيره ، خرت الملوك بين يدى أصحابه ، ودانت إطاعة له الأمم وصلى عليه مع طول الأيام .

البشارة الثانية والعشرون:

قال دواد ـــ عليه السلام ـــ: « **لترتاح البوادى وقراها ولتصير أرض قيدار مروجاً ولتسبح سكان الكهوف ، ويهتفون من قلل الجبال بمحامد الرب ، ويذيعون تسابيحه فى الجزائر ولم يظهر دين بالبوادى سوى دين الإسلام** » ، وقيدار اسم ولد إسماعيل

جد رسول الله ـ ﷺ ـ، فهو تنصيص على أن الحق يكون فى غاية البهجة فى جزيرة العرب ، ولم يكن ذلك إلا محمد ـ ﷺ ـ، ولاسكن الكهوف ولا قلل الجبال سوى العرب ، فهنا تنصيص على صفة أمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

البشارة الثالثة والعشرون:

قال داود ـ عليه السلام ـ فى المزامير : « **أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك سلنى أعطيك الشعوب ، ميراثك وسلطانك إلى أقصى الأرض ، ترعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تسحقهم** » ، ومحمد ـ ﷺ ـ هو الذى ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض ، وحاط الأمم وسامهم بسيفه ، ولم يتفق هذا لداود ولا لأحد من بعده ، فيكون هو المبشر به وسمى إبناً على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى ابناً ، كما فى التوراة فى إسرائيل ـ عليه السلام ـ: « **ابنى بكرى** » .

البشارة الرابعة والعشرون:

قال داود ـ عليه السلام ـ فى المزامير : « **إلهى من الرجل الذى ذكرته والإنسان الذى أمرته وألبسته الكرامات والمجد وملكته على خلقك** » .

ومن هذا الذى جُعل أميراً ملكاً من قِبَل الله ـ تعالى ـ على جميع الخلق فى جميع الأرض ، ولم يوجد ذلك إلا بمحمد ـ عليه السلام ـ فيكون هو المبشر به .

البشارة الخامسة والعشرون:

قال أشعيا ـ عليه السلام ـ: « **قيل لى قم ناظراً فانظر ماذا ترى ؟ فقلت : أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه : تسقط بابل وأصنامها للمبحر** » .

فراكب الحمار : المسيح ـ عليه السلام ـ، وراكب الجمل محمد ـ ﷺ ـ، فشهرته بركوب الجمل أكثر من شهرة المسيح ـ عليه السلام ـ بركوب الحمار ، فإن المسيح ـ عليه السلام ـ كان كثير السياحة على رجليه ، وأما فى الإنجيل فإنه دخل المدينة **راكباً** الحمار والصغار حوله يقولون مبارك الآتى باسم الرب ومحمد ـ ﷺ ـ أسقط أصنام بابل وغيرها .

البشارة السادسة والعشرون:

فى شرف مكة والبيت الحرام قال أشعيا ــ عليه السلام ــ فى نبوته : « **ارفعى إلى ما حولك بصرك فستبتهجين وتفرحين من أجل أن الله بعث إليك ذخائر البحرين وتحج إليك عساكر الأمم حتى يعم بك قطر[1] الإبل المؤبلة وتضيق أرضك عن القُطُرات[2] التى تجمع إليك ، وتساق إليك كباش أهل مدين ويأتيك أهل سبأ ويسير إليك أغنام فاران ويخدمك رجال عارب** » ، يريد سدنة الكعبة وهم أولاد عارب من إسماعيل ، وهذه الصفات كلها لم تحصل إلا لمكة ، حملت إليها ذخائر البحرين وحج إليها الأمم على اختلاف أصنافهم وسيق إليها الإبل والغنم هدايا وضحايا ، وهذا التعظيم لها إنما حصل بمحمد ــ ﷺ ــ، فيكون دينه حقاً وهو المطلوب .

البشارة السابعة والعشرون:

قال أشعيا ــ عليه السلام ــ فى نبوته : « **أيتها المتغلغلة فى الهموم التى لم تُحَصِّل حظوة ، إنى جاعل فجرك بكوراً وموثق أثاثك بالحجر الاسمانجونى ومُزين حيطانك باللازورد، ومزخرف خدودك بالأحجار النفيسة ، وأعم أبناءك بالسلام ، وأزينك بالصلاح والبر ، وأبعد عنك الأذى والمكاره ، وأجعلك آمنة ، ومن ابتعث إلَىَّ فإليك قصده وفيك حلوله ، وتصيرين ملجأ لقاصديك وسكانك** » ، ولم توجد هذه الصفات إلا لهذه الملة لأن المهدى من بنى العباس[3] والملوك قبله وبعده تأنقوا فى بناء البيت والمسجد الحرام بالأحجار **النفيسة** والذهب والأصباغ واللازورد وحملت تيجان الملوك وذخائرهم فحليت بها الكعبة ، حتى إن سقوف الحرم تأخذ بالبصر ، وليس على وجه الأرض كذلك غيرها ، ولا يمكن صرف هذا إلى بيتَ المقدس ؛ لأنه لم يكن متغلغلاً فى الهموم من الكفر وعصيان الرب وعبادة الأصنام وأنواع الفجور والبهتان على الله ــ تعالى ــ سواه ، ولم يكن أمناً لمن قصده إلا مكة فإنها محال الأمن فى الجاهلية والإسلام ، وتعظيمها من خصائص الإسلام فيكون منها الإسلام حقاً ، وهو المطلوب .

---

(١) ، (٢) **قُطُر** جمع **قطار** وهو العدد الكبير من الإبل ، وجمعها قُطُرات أيضاً .

(٣) ترجم له صاحب العقد الفريد [٣٣٨/٥] ، ابن كثير فى البداية والنهاية [١٢٩/١٠] .

البشارة الثامنة والعشرون:

قال أشعيا ـــ عليه السلام ـــ مخاطباً للناس عن محمد ـــ ﷺ ـــ فى نبواته : « **افهمى أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد وذكر اسمى وأنا فى الرحم وجعل لسانى كالسيف الصارم وأنا فى البطن ، وخاصنى بظل يمينه ، وجعلنى كالسهم المختار من كنانته وخزننى لسره ، وقال لى أنت عبدى فصير فى ، عدلى حق قدام الرب ، وأعمالى بين يدى إلٰهى فصرت محمداً عبد الرب وبإلٰهى حولى وقوتى** » .

وهذا الفصل العظيم فيه إشارات عظيمة قوية جداً منها :

(أ) أنه خاطب جميع الأمم فيكون رسالته عامة ، فلم يوجد ذلك إلا لمحمد ـــ ﷺ ـــ.

(ب) أن الله ـــ تعالى ـــ أهاب به من بعيد إشارة إلى أنه لم يبعثه من بنى إسرائيل الذين عادوا الأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ منهم ، وهذه صفته ـــ عليه السلام ـــ.

(جـ) الإشارة إلى عظيم فصاحة لسانه حتى عاد كالسنيف ، و لم يؤت جوامع الكلم إلا هو ـــ ﷺ ـــ.

(د) الإشارة إلى أنه ـــ عليه السلام ـــ خير الرسل وأعظمها كلها شأناً بقوله : « **جعلنى كالسهم المختار من كنانته** » .

(هـ) الإشارة إلى أن شريعته أعظم الشرائع حازت من المصالح ما لم تحزه شريعة ؛ لقوله : « وخزننى لسره » أى كمال الحكمة الإلٰهية إنما ظهرت فى شريعته ، (وقد تقدم بيان هذا فى آخر الباب الأول) .

(و) أن أشعيا ـــ عليه السلام ـــ صرح باسم محمد و لم يحجم وأعرب عنه و لم يعجم فلا حاجة بعد هذا الإفصاح إلى مترجم .

فهذه ست إشارات عظيمة من نبى عظيم اتفق أهل الكتاب على صدقه وتعظيمه ونبوته .

البشارة التاسعة والعشرون:

قال أشعيا ـــ عليه السلام ـــ فى نبوته فى حق هاجر أم العرب : ﴿ « **سبحى أيتها النذور الرقوب ، واغبطى بالجمل ، لقد زاد ولد الفارغة المجفوة على ولد المشغولة المحظية ، وقال لها الرب أوسعى مواضع جناحك ومدى مضاربك ، وطوّلى أطنابك ، واستوثقى من أوتادك فإنك ستنبسطين فى الأرض يميناً وشمالاً ، وترث ذريتك الأمم ،**

ويسكنون القرى المظلمة البنيان » ، وهذا بيان عظيم وتصريح جليل ، فإن سارة أم إسحاق ــ عليه السلام ــ والدة بنى إسرائيل وكانت حرة وهاجر أم إسماعيل أَمَةٌ مجفوة محقورة فبشرها الله ــ تعالى ــ أن ذريتها تكون أعظم من ذرية سارة ، وتملك مشارق الأرض ومغاربها وتستولى ذريتها على جميع الأمم .

ولم يتفق ذلك لبنى إسماعيل قط إلا فى الأمة المحمدية فتكون هى الموعود بها وهذا نص لا يحتمل التأويل .

البشارة الثلاثون :

قال أشعيا ــ عليه السلام ــ فى نبوته منبهاً على محمد ــ ﷺ ــ : « **عبدى الذى برضا نفسى أعطيه كلامى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيهم بالوصايا ولا يضحك ولا يصخب ويفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ويحيى القلوب الميتة وما أعطيه لا أعطيه غيره ، أحمد ، بحمد الله ــ تعالى ــ حمداً جديداً ..، يأتى من أفضل الأرض ، فتفرح به البرية وسكانها ، ويوحدون الله ــ تعالى ــ على كل شرف ، ويعظمونه على كل رابية ، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقضيب الضعيف ، بل يقوى الصديقين والمتواضعين ، وهو نور الله ــ تعالى ــ الذى لا يطغى أثر سلطانه على كتفه** » .

وهذا كلام عظيم مشتمل على علامات قوية جداً ومنها :

(أ) الإشارة إلى كونه أفضل الرسل لقوله : « **عبدى الذى برضا نفسى** » ، وهذه صيغة حصر كقوله ــ تعالى ــ : ﴿ **أمَّن هذا الذى يرزقكم** ﴾[1] أى لا يرزقكم غيره .

(ب) الإشارة إلى عموم رسالته بكتاب من عند الله ــ تعالى ــ إلى جميع الثقلين بقوله : « **أعطيه كلامى فيظهر فى الأمم عدلى ، ويوصيهم بالوصايا** » .

وهذا لم يكن قط إلا لمحمد ــ ﷺ ــ .

(جـ) أن الله ــ تعالى ــ ينشر هديه ، وينشر على الأمم إجابته وتصديقه ، لقوله : « **يفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ويحيى القلوب الميتة** » ، وهى صيغة عموم وشمول فى جميع الخلائق ، ولم يتفق ذلك إلا لمحمد ــ ﷺ ــ .

---

(١) الملك : ٢١

(د) أن شريعته أفضل الشرائع ، وكتابه أفضل الكتب ، وأمته أفضل الأمم ، لقوله : « وما أعطيه له لا أعطيه لغيره »

(هـ) التصريح باسمه : « أحمد » ، كما صرح باسمه « محمد » قبل هذا ، ولم تكن هذه الأسماء لغيره ـ ﷺ ـ.

(و) أن مكة أشرف الأرض ، لقوله : « يأتى من أفضل الأرض » ، وقد تعين أنه أحمد ، فلا يكون أفضل الأرض إلا مكة .

(ز) أنه : « يفرح به البرارى والقفار وسكانها » ، وهذه الصفة لم تكن لغير العرب ، ولم يهد العرب وينشر فيهم ذكر الله ـ تعالى ـ إلا محمد ـ ﷺ ـ ، فيكون هو المقصود .

(ح) أن هذه العبادة تقتضى عبادة الله ـ تعالى ـ على كل راية وشرف وهو من خصائص هذه الأمة فإن الأمم قبلها لا يصلون إلا فى البيع والكنائس وهذه الأمة حيث أدركتها الصلاة صلت وأذنت وسبحت وهللت ، فتكون هذه الأمة هى الموعود بها .

(ط) أن دينه يدوم إلى يوم القيامة لقوله : « وهو نور الله الذى لا يُطفى » .

(ى) أن بكفه علامة نبوته لقوله : « أثر سلطانه على كفه » ، ولم يكن على كتف أحد علامة نبوته إلا محمد ـ ﷺ ـ[1] فهو المبشر به .

وهذه عشر علامات من أشعياء ـ عليه السلام ـ ، لا يحتاج معها فى الرد على أهل الكتاب إلى غيرها ، ومن أنصف منهم لا يجد محيداً عنها .

---

(١) كان خاتم النبوة بين كتفى النبى ـ ﷺ ـ ، انظر :
ـ البخارى كتاب الوضوء [باب ٤٠] ، وكتاب الدعوات [باب ٣١]
ـ مسلم كتاب الفضائل [حديث ١١١ ، ١١٢] .
ـ سنن أبى داود كتاب اللباس [باب ٢٣] .
ـ الترمذى كتاب المناقب [باب ٣ ، ٨ ، ١١] .
ـ طبقات ابن سعد [١٣١/٢/١] .
ـ المسند [٢٢٦/٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٦٩/٣ ، ٤٣٤ ، ١٩/٤ ، ١٦٣ ، ٣٥/٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٤ ، ٤٣٨ ، ٤٤٣] .
ـ مسند الطيالسى حديث ٧٥٩ ، ١٧٠١ .

البشارة الحادية والثلاثون :

قال أشعياء ـــ عليه السلام ـــ: « **لتفرح البادية العطشى ولتبتهج البرارى والفلوات ولتزهو فإنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان حتى تصير كالدساكر والرياض وسيرون جلال الله ـ تعالى ـ إلٰهنا** » .

فصرح ـ عليه السلام ـ باسمه ، وأن مكة تصير براريها محجوجاً إليها من الأقطار حتى يكثر فيها العمران فقد صرح باسمه واسم أرضه ، فما يسع أهل الكتاب إلا الإيمان بذلك ، وكيف يؤمنون بأشعياء ـــ عليه السلام ـــ ويكذبون أخباره ويردون أقواله ؟؟

البشارة الثانية والثلاثون:

قال أشعياء ـــ عليه السلام ـــ فى نبوته : « **قال إبراهيم ـــ خليل الله ـــ الذى قويته ودعوته من أقاصى الأرض لا يخاف ولا يرهب ، فأنا معك وبيدى مهدت لك ، جعلتك مثل الجرجر الحديد يدق ما يأتى عليه دقاً ، ويسحقه سحقاً ، حتى يجعله هشيماً يلوى به هودج الرياح ، وأنت تبتهج وترتاح ، ويكون محمداً** »

فصرح ـــ عليه السلام ـــ باسمه ونصره فى الحروب ، وبسط مملكته بالتمهيد والإعانة ، ولا يكاد أشعيا ـــ عليه السلام ـــ يهمل ذكر اسمه ، كأنه عليه ضربة لازب ..، وحتم واجب ، وإذا كانت الأنبياء والأصفياء يصرحون باسمه وجميع صفاته انقطعت أعذار أهل الكتاب .

البشارة الثالثة والثلاثون:

قال أشعياء ـــ عليه السلام ـــ فى نبوته معلناً باسمه ـــ عليه السلام ـــ: « **إنى جعلت اسمك محمداً يامحمد ياقدوس الرب اسمك موجود من الأبد** » .

البشارة الرابعة والثلاثون:

قال أشعياء ـــ عليه السلام ـــ فى نبوته منبهاً على مكة : « سُرى واهتزى ايتها العاقر التى لم تلد وانطقى بالتسبيح وافرحى إذ لم تحبلى ؛ فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى » ، يعنى بأهله أهل بيت المقدس ، وبالعاقر : مكة ؛ لأنها لم تلد من قبل نبينا ـــ عليه السلام ـــ نبياً ، أهلها أكثر لأن المراد أهل الحق من الجميع دون أهل الضلال ، فيخرج النصارى كلهم واليهود.، ولم يبق إلا من كان على حقيقة التوراة ،

وهم قليلون جداً بالنسبة إلى المسلمين ، بل الأمم المحقة كلها أقل من المسلمين لقوله ـ ﷺ ـ: « **إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة** »[1] .

البشارة الخامسة والثلاثون:

قال أشعياء ـ عليه السلام ـ فى نبوته : « **ولد لنا غلام يكون عجباً وسيراد ، والشامة على كتفه أركون السلم إلٰه جبار سلطانه السلام ، وهو ابن عالم يجلسه على كرسى داود** » ، والأركون هو العظيم بلغة الإنجيل . فنص على أخفى علاماته ، وهذه الشامة هى خاتم النبوة الذى بين كتفيه ، وقد كان لبنى إسرائيل من الملك والنبوة ، وسيصير على كرسى داود بدلاً منهم .

البشارة السادسة والثلاثون:

قال أشعيا ـ عليه السلام ـ فى نبوته حاكياً عن الله ـ تعالى ـ: « **أشكر حبيبى وابنى أحمد** » ، فصرح باسمه ـ عليه السلام ـ، وسماه ابناً على اصطلاح لسان اليونان ، وأمر أشعيا ـ عليه السلام ـ بشكره هو وقومه وسماه **حبيباً** ، وهذا غاية التكريم والتعظيم بما يجب له وأنه سيكون .

البشارة السابعة والثلاثون:

قال أشعيا ـ عليه السلام ـ فى نبوته : « **إنا سمعنا فى أطراف الجبال صوت محمد** » ، فصرح باسمه ـ عليه السلام ـ، ومكانه تصريحاً لا يحتمل التأويل .

البشارة الثامنة والثلاثون:

قال أشعيا ـ عليه السلام ـ فى نبوته : « **لتستحين تمجدنى حيوانات البر من بنات آوى حتى الأنعام ، لأنى أجريت الماء فى اليد ، ولتشرب منه أمتى المصطفاة التى اصطفيتها** » ، فكنى عن العرب والحجاز بالبرارى وبنات آوى والأنعام ، وسمى الهدى ماءً ؛ لأنه يزيل عطش الضلال ، وأخبر أنه ـ تعالى ـ اصطفى هذه الأمة من بين سائر الأمم .

---

(١) تقدم تخريجه .

البشارة التاسعة والثلاثون:

قال أشعياء ــ عليه السلام ــ فى نبوته منبهاً على شرف مكة : « **قومي وازهرى مصابيحك ، فقد دنا وقتك ، وكرامة الله ــ تعالى ــ طالعة عليك ، فقد حَلّ الأرض الظلام ، وغطى على الأمم كلها الضباب ، والرب يشرق عليك إشراقاً ، ويظهر عليك كرامته فتصير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوء طلوعك ، سيأتوك ويحجون إليك من البلد البعيد ، وتتربى بنوك وبناتك على السرر والأرائك** » ، وليس على وجه الأرض مكان لم يكن له وقت وقد قرب وقته وهو يحج إليه الناس من أقطار الأرض إلا مكة ، فإن البيت المقدس مازال معظماً محجوجاً ، ولم يعظم مكة وجعل الحجيج إليها من أقطار الأرض إلا محمد ــ ﷺ ــ، فتكون نبوته حقاً وهو المطلوب .

البشارة الأربعون:

قال يوشاع ــ وهو أحد الإثنى عشر :. « **بنو إسرائيل واليهود قد عتوا بالكذب والخيانة حتى نزلت أمة الله . الأمة المقدسة المؤمنة** » ، فصرح بأن بنى إسرائيل واليهود على الكذب والضلال حتى تأتى الأمة المقدسة ، ولم يأت بعد إسرائيل أمة غيرنا ، فإن النصارى داخلون فى بنى إسرائيل ،.فيكون نحن الأمة المقدسة المذكورة وهو المطلوب .

البشارة الحادية والأربعون:

قال ميخا النبى ــ عليه السلام ــ منبهاً على البيت الحرام : « **إنه يكون فى آخر الأيام بيت الرب مبنى على قلل الجبال ، وفى أرفع رؤوس العوالى ، يأتين جميع الأمم يقولون : تعالوا نطلع إلى جبل الرب** » ، وهذه صفة البيت الحرام وجبل عرفة ، ولم يشرعه لجميع الأمم إلا محمد ــ عليه السلام ــ، فيكون دينه حقاً وهو المطلوب .

البشارة الثانية والأربعون:

قال النبى حبقوق ــ عليه السلام ــ فى نبوته : « **أن الله ــ تعالى ــ جاء من الشمس ، والقدوس من جبل فاران ، ولقد أضاءت السماء من بهاء محمد ــ ﷺ ــ، وامتلأت الأرض من حمده ، شاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزه ،**

تسير المنايا أمامه . وتصحب سباع الطير أجناده ، قام فمسح على الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة ، وتزعزعت ستور أهل مدين ، ثم قال : زجرك فى الأنهار واحتدام صوتك فى البحار يامحمد ادن لقد رأتك الجبال فارتاعت ، ونعرت المهادى بغير رعب ، وسار العساكر فى بريق سهامك ، ولمعان نيرانك تدوخ الأرض غضباً وتدوس الأمم زجراً » . فمن رام صرف هذا الكلام رام ستر النهار ، وحبس الأنهار ، فإنه سمى محمداً ـــ عليه السلام ـــ مرتين ، ووصفه لمقابلة أهل الأرض وأنه من جبل فاران ، وفى التوراة : **« إن إسماعيل ـــ عليه السلام ـــ وأمه كانا فى برية فاران »** ، ولم يخرج من الحجاز غير محمد ـــ عليه السلام ـــ، ووصفه بالجهاد براً وبحراً . وتدويخ جميع الأمم ، وهذا لم يكن إلا له ـــ ﷺ ـــ.

البشارة الثالثة والأربعون:

قال النبى حزقيال ـــ عليه السلام ـــ فى نبوته : **« إن كرمة أخرجت ثمارها وأغصانها ، فأشتت على أغصان الأكابر والسادات ، وارتفت وبسقت أفنانها ، فلم تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخط والرمى بها على الأرض ، فأجرقت السماء ثمارها ، وتفرقت قواها ، ويبست عصا غرسها ، وأتت عليها النار وأكلتها ، فعند ذلك غرس فى البدو [غرساً] ، وفى الأرض المهملة المعطلة العطشى ، وخرجت من أغصانه نار فأكلت تلك ، حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب ينهض »** .

فالغرس الأول يريد به شرع بنى إسرائيل وملكهم ، والغرس الثانى يكون بعد السخط عليهم فى البادية وهى أرض الحجاز ، وهذا تصريح منه بأنا نحن الغرس الموجود لله ـــ تعالى ـــ على وجه الأرض ، وأن من عدانا سخوط عليه .

البشارة الرابعة والأربعون:

قال حزقيال ـــ عليه السلام ـــ فى نبوته يتهدد اليهود بنا : **« أن الله مظهرهم عليكم ، وباعث فيهم نبياً ، وينزل عليهم كتاباً ، ومملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق ، ويخرج رجال بنى قيدار فى جماعات الشعوب . معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين . فيحيطون بكم وتكون غايتكم إلى النار »** .

وقيدار هو ابن إسماعيل ـــ عليه السلام ـــ جد العرب ، ولم يخرج من بنى إسماعيل من له الحرب والغلبة لبنى إسرائيل ومن معهم ، إلا نحن بالضرورة ..

البشارة الخامسة والأربعون:

قال دانيال ـــ عليه السلام ـــ فى نبوته مخاطباً لمحمد ـــ عليه السلام ـــ: « **سينزع فى فيك إغراقاً يرتوى السهام بأمرك يامحمد ارتواءً** » .

البشارة السادسة والأربعون:

فى نبوة دانيال ـــ عليه السلام ـــ لما سأله بختنصر عن تأويل رؤياه التى نسيها : قال له : « **رأيت أيها الملك صنماً عظيماً قائماً بين يديك ، رأسه من ذهب وساعداه من فضة ، وبطنه وفخذاه من النحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من خزف ورأيت حجراً لم تقطعه يد إنسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى، وعاد رفاتاً ، ثم نسفته الرياح فذهب ، وتحول ذلك الحجر فصار جبلاً عظيماً حتى ملأ الأرض كلها ، قال صدقت ، فما تأويله ؟ قال له أنت الرأس الذهب ، ويقوم بعدك ولداك ، وهما دونك فهما فضة ، وبعدهما مملكة دونهما تشبه النحاس ، والمملكة الرابعة فى غاية القوة فهى الساقان الحديد ، والرجلان الخزف مملكة ضعيفة والحجر الذى صدع الصنم نبى يقيمه الله إلـه السماء والأرض ، من قبيلة شريفة قوية ، فتدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلىء منه الأرض ومن أمته ويدوم سلطان ذلك النبى إلى انقضاء الدنيا** » ولم يوجد [بعد] دانيال إلى يومنا من فعل له هذا إلا محمد ـــ عليه السلام ـــ.

البشارة السابعة والأربعون:

قال دانيال ـــ عليه السلام ـــ فى نبوته : « **رأيت فى نومى كأن الرياح الأربع قد هاجت ، وتموج بها البحر واعتلج اعتلاجاً فصور منه أربع حيوانات عظام مختلفة الصور ، الأول : مثل الأسد وله أجنحة نسر ، والثانى : مثل الدب وفى فمه ثلاثة أضلاع ،** وسمعت قائلاً يقول : قم فكل من اللحم واستكثر منه ، والثالث : مثل النمر فى جنبيه أربعة أجنحة وله أربعة رؤوس وقد أعطى قوة ، والرابع : عظيم قوى جداً وله أسنان من حديد عظام ، فهو يأكل ويدق برجليه ما بقى ورأيته مخالفاً لتلك الحيوانات ، وكانت له عشرة قرون ، فلم يلبث أن نبت له قرن صغير من بين تلك القرون ثم صار لذلك القرن عيون ، ثم عظم القرن الصغير حتى صار أكبر من سائر القرون ، فسمعته يتكلم كلاماً عجيباً ، فكان ينازع القديسين ويقاومهم ، قال دانيال : فقال

لى الرب ــ تعالى ــ: الحيوان الرابع مملكة رابعة فى آخر الممالك ، وهى أفضلها وأجلها ، تستولى على جميع الممالك ، وتدوسها وتدقها وتأكلها رغداً » ، فقد عهد دانيال ــ عليه السلام ــ بأن أمتنا أفضل الأمم ، وأنها دائمة إلى الأبد ، وقال المفسرون لكتب دانيال : أن الحيوان الأول : دولة أهل بابل ، والثانى : دولة أهل الملتين ، والثالث : دولة الفرس ، والرابع : دولة العرب ، وهو تصديق قول التوراة لإبراهيم ــ عليه السلام ــ: « إنى أبارك إسماعيل ولدك . وأعظمه جداً جداً » .

ومن تولى الله تعظيمه كيف لا يكون عظيماً ، قلت : وأرى العشرة قرون هى أصحابه ــ عليه السلام ــ العشرة ، ثم حصل بسببهم ومن بينهم وبالنقل عنهم وعن بقية الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ والتابعون وعلماء الأمة شيئاً قليلاً ، كثروا وعظموا واشتغلوا بالعلوم وناظروا أهل الملك وعظمت بصائرهم واشتهرت تصانيفهم ، فيها من كل عجيب وعلم بديع غريب ، حتى ملأت خزائن المدائن من تصانيفها وعمت سائر أنواع العلوم بتأليفها ، فلم يبق علم لغيرها من القرون السالفة ، حتى حققته بعد سقمه ، ولم تترك ما يحتاج إليه من العلوم التى لم تكن حتى أخرجته بعد عدمه ، ولا شك أن مجموع الأمة أفضل من واحد من العشرة ، وإن كان كل واحد من العشرة خيراً من كل واحد ممن بعده إلى قيام الساعة ، ولذلك قال ــ عليه السلام ــ: « لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولانصيفه »[1] فلم يجعل الفضل إلا بعين الواحد منا والواحد منهم ، أما الجمع فلم يتعرض له وتفرقت إليه .

البشارة الثامنة والأربعون:

قال دانيال ــ عليه السلام ــ: « سألت الله ــ تعالى ــ وتضرعت إليه أن يبين لى ما يكون من بنى إسرائيل ، وهل يتوب إليهم ويرد عليهم ملكهم ، ويبعث فيهم الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، أو ينقل ذلك فى غيرهم ؟ فظهر لى الملك فى صورة شاب حسن الوجه ، فقال : السلام عليك يادانيال: إن الله يقول لك: أن بنى إسرائيل

---

(١) ــ البخارى فى كتاب فضائل الصحابة باب ٥ .
ــ مسلم فى فضائل الصحابة [رقم ٢٢١ ، ٢٢٢] .
ــ أبو داود فى السنة [باب ١٠] .
ــ الترمذى فى المناقب [باب ٥٨]
ــ ابن ماجه فى المقدمة [باب ١١] ، أحمد فى المسند [٣ ، ١١ ، ٥٤ ، ٦٦]

أغضبونى وتمردوا علىّ ، وعبدوا من دونى آلهة أخرى ، فصاروا من بعد العلم إلى الجهل ، ومن بعد الصدق إلى الكذب ، فسلطت عليهم بختنصر ، قتل رجالهم وسبى ذراريهم وهدم بيت مقدسهم وحرق كتبهم ، وكذلك فعل من بعده بهم . وأنا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثرتهم . فلا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى من العذراء البتول ، فاختم عليهم بعد ذلك باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة ، حتى أبعث نبياً من بنى إسماعيل الذى بشرت به هاجر وأرسلت إليها أملاكى يبشرونها ، فأوحى إلى ذلك النبى وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها ، أسرى به إلى ، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى تعلو ذريته وأسلم عليه ، وأوحى إليه ، ثم أرده إلى عبادى بالسرور والعطية ، حافظاً لما استودع ، صادعاً بما أمر يدعو إلى توحيدى وعبادتى ويخبرهم بما رأى من آياته فيكذبونه ويؤذونه » .

ثم سرد دانيال ــ صلوات الله عليه ــ قصته ــ عليه السلام ــ حرفاً حرفاً لما**أملاه** عليه الملك ، حتى وصل إلى آخر أيام أمته عند نفخ الصور ، وانقضاء الدنيا .

ودلائل نبوته عليه السلام كثيرة موجودة فى أيدى اليهود والنصارى يقرؤونها ويكتمونها : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[1] .

البشارة التاسعة والأربعون :

قال يوحنا فى كتاب رسائل التلاميذ المسمى بفراكسيس : « **إياكم تؤمنوا بتلك الروح ، لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله عن غيرها ، واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسداً نبياً فهو من عند الله ــ تعالى ــ ، وكل روح لا تؤمن بأن اليسوع المسيح جاء وكان جسداً نبياً فليست من عند الله ، بل المسيح الكذاب الذى سمعتم به وهو الآن فى العالم** » .

فشهد يوحنا أن محمداً بن عبد الله من عند الله ــ تعالى ــ ؛ لأنه آمن بالمسيح وصدقه ، وقال **إنه** كان جسداً نبياً ، وأن اعتقادنا هو الاعتقاد الحق فى عيسى **ابن** مريم ، وأن اعتقاد النصارى واليهود فيه باطل واليهود الآن تنتظر مسيح الهدى يأتى غير مسيح

---

(١) الصف : ٨

الضلالة الذى أنذرت به الأنبياء قومها ، وقد تعداهم السعد وهم لا يشعرون .

البشارة الخمسون :

قال آرميا ــ عليه السلام ــ فى نبوته : حاكياً عن الله ــ تعالى ــ : « **إنى مهيج عليكم يابنى إسرائيل من البعد أمة عزيزة ، أمة قديمة ، أمة لا تفهمون بلسانها ، وكلها مجرب الحرب** » .

وهو تصريح بهذه الأمة ، وبعدها كونها ليست من بنى إسرائيل ، وعزها : اعتمادها على الحق ، وقدمها : إنذار الأنبياء بها قديماً ولسانها عربى لا يفهمه بنو إسرائيل ، وتجربة العرب للحروب والغزوات والقفار والمهالك مشهورة قديماً وحديثاً لا تجارى ولا تسابقها فيها أمة من الأمم وهو جبروتها ، وصلابة قلوبها على المشاق .

البشارة الحادية والخمسون :

قال أشعيا ــ عليه السلام ــ فى نبوته : « **أنا الرب لا إلٰه غيرى أنا الذى لا تخفى عليه خافية ، بل أخبر العباد بما لم يكن قبل أن يكون ، وأكشف لهم الحادث والغيوب ، وأتم مشيتى كلها ، أنى سأدعو طائراً من البدو واجداً الشاسع** » .. فهذا الطائر هو محمد ــ ﷺ ــ لأنه من البدو **الشاسع** عن إقليم بنى إسرائيل **وسماه** طائراً لطيران ملكه وهديه فى الآفاق ، والحمل على الطائر الحقيقى لا يبقى فى هذا الكلام العظيم فائدة ، فتعين حمله على معنى نفيس لائق بهذا السياق العظيم ، ولم يقع فى العالم ما يليق بهذا الخبر سوى محمد ــ ﷺ ــ ، فتعين ..

ولنقتصر على هذه الخمسين بشارة خشية الاطالة وفى واحدة منها الكفاية لمن أنصف وقصد الحق ، فكيف خمسين؟؟

فإن قالوا : كيف تتمسكون بهذه الكتب وهى غير صحيحة عندكم ؟ قلنا : نبوة نبينا ــ عليه السلام ــ ثابتة بالمعجزات غنية عن هذه الكتب ، وإنما نذكر ما فيها من الدلالة على نبوته ــ عليه السلام ــ؛ إلزاماً لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها ، هى مثل جميع كتبهم فى الصحة ، فإن كان يحسن الأشكال بها تم مقصودنا ، وإن كانت لا يحسن بها الاستدلال بطل جميع ما بيد أهل الكتاب لأن جميعه مثلها ، وكيف يسع

أهل الكتاب أن يعتقدوا صحة هذه الكتب ؟ ولا يقبلوا ما فيها من الدلالة على محمد ـــ عليه السلام ـــ الواصلة ـــ حد القطع من كثرتها ، وأنها عميت منهم البصائر ، وطمست السرائر ، فلا يجد الحق من قلوبهم محلاً ، ولا سماع التذكر أهلاً ، والله ـــ تعالى ـــ هو المحمود بما يليق بجلاله ، الذى جعلنا مخصوصين بدينه القويم وصراطه المستقيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وعلى خير خلقه أفضل الصلوات والتسليم والحمد لله رب العالمين .

obeikandl.com